فرص وتحدّيات التّعليم الافتراضيّ للحوزات العلميّة في حقبة كورونا

محمد صادق الشجاعي[1]

خلاصة البحث

ترمي هذه الدراسة إلى التّعرّف على فرص التعليم الافتراضي وتحدّياته في عصر كورونا للحوزات العلميّة، والمنهج المتّبع في الدراسة هو المنهج الوصفيّ التحليليّ.

لقد أظهرت النتائج أنّ التعليم الافتراضي في عصر كورونا، على الرغم من وجود عدد من الفرص والقدرات الإيجابيّة كالتدريب الشَّبكي، والمرونة في اختيار زَمَكان التدريب، وتوفير التكاليف ومدّة التعليم، وعدم الحاجة إلى الحضور الفيزيائي للطلاب، وإزالة قيود تسجيل الطلاب، قد واجه أيضًا عددًا من المشكلات والموانع، من جملتها: عدم وجود تفاعل وجهًا لوجه (بشكل مباشر) بين الأستاذ والطالب، والاعتماد المفرط على التكنولوجيا، ونقص الموظفين الإداريين المتخصصين، وانعزال الطلاب وعدم وجود المنافسة بينهم، وحذف البرامج التربوية وعدم الرقابة على برامج الطلاب وتعامل بعضهم مع بعض، وأخيرًا ثمّة اقتراحات لتفادي هذه المشكلات قدر الإمكان لتجنّب المخاطر وتقليل العواقب المحتملة في فترة ما بعد كورونا.

المفردات الرئيسة: التعليم الافتراضيّ، الحوزات العلميّة، الفرص، التحدّيات.

---

١. دكتوراه في علم النفس، عضو الهيئة العلميّة في مركز المصطفىﷺ العالمي للدراسات و البحوث: s_shojaei@yahoo.com

المقدّمة (بيان المشكلة)

قد أدّى تفشي فيروس كوفيد-١٩ إلى أزمة في الأنشطة التعليميّة لمؤسسات التعليم العالي من خلال تعطيل الفصول الدراسيّة، ومع اتّساع نطاق الأزمة، أصبحت مجموعة متنوّعة من سياسات التعليم القائمة على استخدام تقنيات الاتصال، محور اهتمام مدراء ومخططي التعليم العامّ والتعليم العالي في البلاد، ومع ذلك فإنّ ظهور فيروس كورونا في (إيران) أثبت حقيقة عدم استعداد وزارة العلوم، وبالتالي المراكز التعليميّة الجامعيّة والحوزويّة لاستخدام قدرات الأجهزة والبرمجيّات في التعليم الافتراضيّ.

فقد أعلنت وزارة العلوم في مرسومها الصادر بتاريخ ٢٠٢٠/٢/٢٩، عن تشكيل فريق عمل متخصّص في التعليم الافتراضيّ؛ ليكون مسؤولًا عن تخطيط وتوجيه الجامعات ومؤسّسات التعليم العالي كمقرّ مركزيّ ومسؤول أصليّ عن التعليم عن بعد، وكان في تشكيل مجموعة العمل هذه كحلّ فوري في ذلك الوقت دلالة على أنّه لم يكن هناك قسم في هيكل تلك الوزارة مسؤول عن التعليم الافتراضي من ذي قبل؛ لذلك في جزء من المرسوم المشار إليه، تمّت إحالة أيّ أسئلة أو إجابات أو غموض بشأن كيفية إجراء هذا النوع من التعليم إلى أحد أعضاء هيئة التدريس في الجامعة.[١]

ومن ناحية أخرى، رغم أنّ مجلس تخطيط التعليم العالي قد سبق أنْ أصدر قرارًا يسمح للجامعات بإقامة ما يصل إلى ١٠٪ من الوحدات الدراسيّة للدورات الجامعيّة والدراسات العليا، على غرار التعليم الافتراضي، مع إعطاء الأولويّة للدروس الأصليّة والعامّة باستثناء دروس مجموعة التعاليم الإسلاميّة واللغة الفارسيّة العامّة، لكن مع ذلك بات لازمًا على الجامعات المنفذة الحصول على إذن من مجلس التخطيط بوزارة

١. الموقع الإلكتروني لنائب وزير التعليم بوزارة العلوم والبحوث والتكنولوجيا، ٢٩ فبراير ٢٠٢٠.

العلوم لإقامة مثل هذه الدورات[١]، ثمّ مع تفشي فيروس كوفيد-١٩، قامت وزارة العلوم خلال مرسوم أصدرته بتاريخ ٢٠٢٠/٣/١٤ بحذف نصاب ١٠٪ وطلبت من مراكز التعليم العالي وضع التعليم الافتراضي على جدول أعمالها.

وبالإضافة إلى ذلك، أعلنت وزارة العلوم عن سياسة لاستبدال التعليم الافتراضي بالتعليم وجهًا لوجه في نظام التعليم العالي في البلاد، حيث تَشكّل فريق عمل متخصص في التعليم الافتراضي للتنسيق بين الجامعات ومؤسّسات التعليم العالي في جميع أنحاء البلاد، بعدئذٍ، بدأت كلّ جامعة مع الأخذ في الاعتبار بنيتَها التحتية ومستوى إمكاناتها، ببذل جهود لتطبيق التعليم الافتراضي.[٢]

وقد استخدمت عمليّات مماثلة في الحوزات الدينيّة، فكان إغلاق الفصول الدراسيّة خلال أزمة تفشي كوفيد-١٩، وخلق مسافة اجتماعيّة، واستخدام طرق مختلفة للتعليم الافتراضيّ من بين أهمّ الاستراتيجيّات التي لجأت إليها معظم مراكز الحوزة لمنع انتشار المرض مع استمرار عمليّة التعليم، طبعًا تجدر الإشارة إلى أنّ مراكز التعليم الحوزويّة واجهت تحدّيات أكثر خطورة من الجامعات؛ لأنّه لم يكن هناك ما يكفي من البنية التحتية والقوّة الفنية في الحوزات؛ لذلك كان هناك الكثير من الغموض حول التعليم الافتراضي، فعلى سبيل المثال: كانت منذ البداية تطرح أسئلة من قبيل: ما كيفيّة استخدام الفضاء الافتراضي لتدريس الدروس الحوزويّة؟ وأيّ برنامج هو الأنسب؟ وهل يمكن للأستاذ التحدث مع عدة طلاب في الوقت نفسه؟ وإلى أيّ مدى يمكن تحميل ملفات الدروس على النظام الإلكتروني؟ وهل يمكن استخدام هذه الأنظمة في الدورات الجامعيّة فقط أم في الدروس الحوزويّة أيضًا؟ فإن دلّت هذه الأسئلة على شيءٍ فإنّما تدلّ على أنّ الأساتذة والطلاب وحتّى العاملين في

١. موقع معاونيّة وزارة التربية والتعليم في وزارة العلوم والبحوث والتكنولوجيا، ٢٩ أبريل ٢٠١٤.

٢. مرادي، ١٣٩٩: ٣٥٣.

قسم التعليم في مراكز الحوزة لم يكونوا على دراية بهذه الأنظمة، وبالنسبة لبعض الأفراد، فإنّ هذه المشكلات لا تزال مستمرة؛ حيث لم يتمكّنوا بعد من تعلم المهارات اللازمة واستخدام التعليم الافتراضيّ بشكلٍ صحيحٍ، فمثل هذا الوضع يشير إلى نقص المعرفة الكافية وضعف البنية التحتيّة ونقص الخبرة اللازمة في الحوزات العلميّة.

وفي الواقع، إنّ أزمة كوفيد-١٩ قد دفعت الحوزات العلميّة – على عجلة من أمرها – لاستغلال التعليم الافتراضي، مثل الأوساط الأكاديميّة، وأدخلتها عن غير قصد في ساحة لم تكن متوفرة في الحوزات العلميّة سابق عهد، فذكّرتها بضرورة التعرّف على هذا النوع من التعليم من ناحية، ومن ناحية أخرى أثارت سؤالا لدى موظفي الحوزات ومديريها وهو: ما الفرص والتحديات التي يمكن أن يجلبها التعليم الافتراضي للحوزات؟

وخلال هذين العامين، تمّ الاهتمام بالجوانب التقنية للتعليم الافتراضي أكثر من الجوانب الأخرى، في حين أنّ أحد الجوانب المهمّة للتعليم الافتراضي هو وظائفه التعليميّة والتربويّة؛ فإنّ هذه الدراسة تهدف إلى التعرف على الجوانب الإيجابيّة والسلبيّة للتعليم الافتراضي في مجال التعليم والتربية للحوزات العلميّة.

منهج البحث

تمّ هذا البحث بالمنهج الوصفيّ التحليليّ، ففي هذا النوع من البحوث يحاول الباحث وصف المعلومات، ومعرفة الظاهرة، والمتغيّر، والشيء أو الموضوع في قيد البحث.[١] وبمعنى آخر يفحص الوضع الحالي، وإذا لزم الأمر يصف الوضع المنشود ويقدم أدلّة عن الكيفيّة والأسباب.

معطيات البحث

إنَّ التعليم الافتراضي هو حاجة ملحّة وأساسيّة للحوزات العلميّة؛ لأنّ حاجة

١. حافظ نيا، ١٣٨٩: ٧١.

الناس للعلوم الحوزويّة وعدم وصولهم إليها من جهة، ونقص الإمكانات الاقتصاديّة والأماكن التعليميّة في الحوزات والتكاليف الباهظة التي يتمّ إنفاقها على التعليم من جهة أخرى، تبرّر ضرورة التعليم الافتراضي وأهمّيّتها للحوزات العلميّة، كما أنّه في الوقت الحاضر، يعدّ هذا النوع من التعليم حلًّا مناسبًا للمتطلبات التعليميّة للأشخاص غير القادرين على التواجد جسديًّا في الدورات بسبب القيود، مثل: ضيق الوقت، وبُعد المسافة، والموانع الجسديّة، ومشاكل العمل والأسرة، والمشاكل الاجتماعيّة وما شابه، فيمكن للحوزات العلميّة استخدام التعليم الافتراضي وتكنولوجيا المعلومات لتعليم أعداد كبيرة من الطلبة بشكل متزامن.

فيمكن أن يكون التعليم الافتراضي مفيدًا جدًّا للحوزة، خاصّة قسم العلاقات الدوليّة منها، وقد أدركت بعض المراكز الحوزويّة قابليات التعليم الافتراضي منذ سنوات عديدة؛ حيث أسست جامعة المصطفىﷺ المفتوحة لتحقيق هذا الهدف بعينه، وقد أحدث التعليم الافتراضي بالفعل تغييرًا جادًّا في أقسام أخرى من الحوزة، ومن المتوقّع أن نرى منظورًا جديدًا في الحوزات العلميّة في عصر ما بعد كورونا.

إنَّ أهمّ ميزة ووظيفة التعليم الافتراضي للحوزات العلميّة هي أنّه باستخدام هذا النوع من التعليم، من الممكن تحقيق طرق تعليميّة جديدة في الحوزات العلميّة، وحينئذ سيتمّ تقديم البرامج بناءً على حاجات المتعلمين وسيتسّنى للجميع فرصة الاستفادة من البرامج التعليميّة للحوزة، وقد سهّلت تجربة كورونا تبني التعليم الافتراضي في الحوزات العلميّة؛ إذ أصبح الآن من أساليب التعليم التي تُستخدم في الحوزات الدينيّة على نطاق واسع منذ فترة كورونا، وكان له سرعة كبيرة في التوسّع ضمن تاريخه القصير؛ وفيما يلي ذكر الوظائف الإيجابيّة والسلبيّة للتعليم الافتراضي في الحوزات الدينيّة.

أ) الوظائف والقدرات الإيجابيّة للتعليم الافتراضي

١. القدرة على تقديم معلومات أفضل وأعلى جودة: في التعليم الافتراضي تُوضع جميع الإمكانات الحاسوبيّة في خدمة التعليم، وليس هناك من قيود إلّا النطاق الترددي للمستخدمين، فكلما زاد عرض النطاق الترددي، زادت جودة المعلومات التي يتمّ تبادلها.

٢. إمكانية التعليم الشبكي: في النظام التقليديّ للحوزات، يتمّ التعليم عادة بدون شبكة وبشكل محدود ومتمركز في مكان، بينما أنّ استخدام التعليم الافتراضي لشبكة مؤلّفة من متعلمين من مناطق وحتّى بلدان مختلفة، وأساتذة وخبراء التعليم، يتيح لجميع الأساتذة والطلاب والمسؤولين التنفيذيين، العمل معًا في أيّ وقت كان، والتواصل بسهولة، ومتابعة شؤون التعليم الخاصّة بهم.

٣. المرونة في اختيار وقت ومكان التعليم: الطلاب في التعليم الافتراضي ليسوا مقيدين من حيث الزمان والمكان، ويمكنهم الوصول إلى الملفات الدراسيّة المنشودة بشكل مباشر (ON LINE) عبر الويب في أي زمان ومكان؛ فيمكن للطلبة الدراسة على مدار الساعة، في أي يوم حتّى في أيام العطل، فهذه المرونة تسمح للطلاب بالمشاركة في برامج ودروس تعليميّة في المنزل أو محل العمل أو الجامعة أو أيّ مكان آخر يمكنهم الوصول إلى الحاسوب والإنترنت.

فمن خلال التعليم الافتراضي، يمكن للطلاب تخصيص وقت مناسب للدراسة وقضاء بقية اليوم في القيام بأشياء أخرى، كما لا توجد قيود على الأفراد من حيث العمر، في حين أنّ التعليم وجهًا لوجه بشكل تقليديّ في الحوزات خاصّة للمتقدمين من خارج البلد يتطلّب شروطٌ خاصّة.

٤. تحديد أولويّات للحاجات التعليميّة: ميزة أخرى للتعليم الافتراضي هي الاهتمام بحاجات المتعلمين. وبعبارة أخرى فإنّ التعليم الافتراضي يسمح للجمهور المخاطب بتعلّم واختيار الفرع العلمي والدراسي المنشود، كما يمكن للمراكز

التعليميّة في الحوزات تلبية حاجات الباحثين من خلال عقد دورات عمليّة وقصيرة الأمد، الميزة التي لم تكن متاحة يومًا ما ضمن التعليم التقليدي للحوزات.

٥. التوفير في التكاليف ومدة التعليم: كان في التعليم التقليديّ، يترتّب على كلّ من الحوزات والطلبة الكثير من التكاليف، وكان السبب الرئيس هو أنّه في التعليم التقليديّ والتعليم المباشر، يُقيَّد الوصول إلى المحتوى التعليميّ بقيد الزمان والمكان، ولكن في التعليم الافتراضي وصول المتعلمين إلى محتوى الدروس لا يقيد بالزمكان، كذلك في التعليم الافتراضي، تنخفض تكاليف التعليم والمكان والموظفين التنفيذيين إلى حدٍّ كبير، كما تقل تكاليف الإياب والذهاب للطلاب إلى الحد الأدنى.

٦. عدم ضرورة الحضور الجسدي للطلاب، ووجود جدول زمني مرن: يرغب الكثيرون في تعلّم الدروس الحوزوية، ولكن نظرًا لظروفهم المهنيّة ومهامّهم العائليّة أو عيشهم في مناطق بعيدة عن مراكز الحوزة وما إلى ذلك من الموانع، لا يمكنهم الاستفادة من دروس الحوزة، فإذا كان هناك تعليم افتراضي في الحوزات، لأمكنهم استخدامه بسهولة، وكما يُظهر البحث الذي أجراه (بوتشي) وآخرون[1] أنَّ مرونة دورات التعليم الافتراضي كانت عاملًا مهمًّا في رضا المتعلمين.

٧. إزالة قيود في تسجيل الطلبة الجدد: يمكن الوصول إلى المادّة الدراسيّة في التعليم الافتراضي عبر شبكة الحاسوب بدون قيود من حيث الوقت ونوع المستخدم إن كان طالبًا أو معلمًّا أو غيرهما، وإن الأداة الوحيدة المطلوبة لاستخدام التعليم الافتراضي هي امتلاك جهاز حاسوب، بينما أنّ المراكز التعليميّة للحوزات في التعليم التقليديّ وجهًا لوجه، لا تقبل سوى عدد محدود من الطلاب.

٨. تحسين التفاعل بين الأساتذة والطلاب: يرمي التعليم الافتراضيّ على غرار التعليم الحوزويّ التقليديّ، إلى التفاعل بين المتعلّمين والأساتذة لغرض فهم المحتوى

1. Bocchi, J.

بشكلٍ أفضل، والفرق هو أنّه في التعليم الافتراضيّ عندما يتحدث طالبان بعضهما مع بعض، يمكن للطلبة الآخرين مواصلة الدرس بغض النظر عن التناقش بينهما، وليس من الضروري خوض الجميع في النقاش المذكور.[١]

٩. إمكانيّة محاكاة الموضوعات الحوزويّة المختلفة: ومن المكاسب العمليّة للتعليم الافتراضي في الحوزات العلميّة، هو إمكانية محاكاة القضايّا الفقهيّة والتاريخيّة وما شابهها، ففي التعليم التقليديّ فهم بعض الموضوعات الحوزويّة وإلقاؤها على الطلاب (نحو تدريس الأحكام) أمر ليس بيسير، لكن باستخدام الميزات المتوفّرة في التعليم الافتراضي، يمكن محاكاة هذه الموضوعات بسهولة بحيث يمكن للناس تعلّم الأحكام بسهولة.

١٠. قابليّات متعدّدة ومتطورة لتدريس العلوم الحوزويّة: في التعليم الافتراضي، يتمّ تدريس المواد المقررة للطلاب باستخدام أدوات الوسائط المتعدّدة عبر صوت وفيديو ورسوم متحرّكة، وقد انعكست هذه الميزة في تعريف التعليم الافتراضي أيضًا، إذ إنَّ التعليم الافتراضي هو نوع من التعليم يتمّ باستخدام الأدوات الإلكترونيّة بما في ذلك الصوت والفيديو وشبكات الحاسوب[٢]؛ وفي بعض الدراسات، تعدّ إمكانيّة استخدام القدرات المتعدّدة والمتقدّمة إحدى السمات الرئيسة للتعليم الافتراضي[٣]؛ فقد زوّدنا التعليم الافتراضي فعلًا، بإمكانيّة استخدام النصّ والصوت والصور الثابتة والمتحركة لتقديم المحتوى.

١١. جاذبيّته للطلاب: التعليم الافتراضي أكثر جاذبيّة من التعليم التقليدي؛ إذ يوفّر الوصول إلى مصادر المعلومات والنصوص والشرائح التعليميّة مع الصور المتحركة ومقاطع الفيديو وما شابه ذلك عبر الحاسوب (ميلي ولولر[٤]، ٢٠٠٠). فمن الواضح أنّ

١. سليماني وأصغري ، ١٤٠٠.

٢. أمين بور، ١٣٨٦، ص٢١٨.

٣. هولمز وغاردنر، ٢٠٠٦.

4. Mealy, L. Loller, B.

وجود مثل هذه المرافق يكون مؤثّرًا في تحفيز طلاب العلوم الحوزويّة.

١٢. إمكانيّة التفاعل مع المحتوى: فائدة أخرى للتعليم الافتراضي هي أنّه يمكّن الأشخاص من التفاعل مع محتوى الدروس دون الحاجة إلى أستاذ، فضلًا عن استخدام النصوص والشرائح ومقاطع الفيديو والملفات التي يمكن الوصول إليها إلكترونيًّا؛ هذه بعض فوائد التعليم الافتراضي التي قد اختبرها طلاب المدارس الدينيّة خلال كورونا، ومن الجوانب الإيجابيّة، بل في الواقع أهم ميزة للتعليم الافتراضي لطلاب جامعة المصطفىﷺ أنّه أتاح لهم الفرصة للدراسة والمشاركة في الدروس الدينيّة دون الحاجة إلى التواجد في إيران؛ لذلك بالإضافة إلى التوفير في التكاليف، يمكن للتعليم الافتراضي أن يتفادى بعض مشاكل الطلاب مثل البُعد عن الأسرة والغربة والوحدة والاكتئاب والحالات المماثلة التي واجهها الطلاب في الماضي.[١]

ب) تحدّيات ومخاطر التعليم الافتراضي

رغم وجود العديد من الفوائد للتعليم الافتراضي للحوزات العلميّة، لا ينبغي التغاضي عن عيوبه وقيوده أيضًا. فكانت حقبة كورونا فرصة عظيمة لإدراك أنّ التعليم الافتراضي، بالإضافة إلى الجوانب الإيجابيّة، يمكن أن يكون له أيضًا عدد من الآثار والنتائج السلبيّة في الحوزات العلميّة، ورغم أنّه لم يتمّ إجراء أيّ بحث حول تأثيرات وعواقب التعليم الافتراضي في الحوزات العلميّة، لكن تمّ إجراء الكثير من الأبحاث في المراكز الجامعيّة سواء في إيران أم خارجها (فارسي وآخرون ، ١٤٠٠)؛ فقد قام بعض الباحثين بدراسة حول القيود والتحديّات المتعلّقة بالتعليم الافتراضي، واستشهدوا بأمور كأهمّ القيود على التعليم الافتراضي، منها: عدم التركيز على المناهج الدراسيّة، ونقص المتخصصين في التعليم الافتراضي، واستخدام التكنولوجيا بدون

١. عابديني، ١٣٩٧.

إستراتيجيّة معينة، وتجاهل سمات عملية التعلّم الفريدة، وضعف الاختبار والتقييم، وعدم الإشراف، ونقص الدعم المالي (كورباكوا[1] وآخرون، ٢٠٢٠؛ رينّنجر وشومار[2]، ٢٠٠٢). كما واجه التعليم الافتراضي في الحوزات العلميّة عددًا من المشاكل والقيود أيضًا، من أهمّها:

١. فقدان التفاعلات الحضوريّة وجهًا لوجه بين الأستاذ والطالب: في التعليم الافتراضي، لا يتوافر عادة اتّصال مباشر ووجهًا لوجه، بالطبع مع تقدم التكنولوجيا تمّ حلّ هذه المشكلة إلى حدٍّ كبير وتمّ توفير إمكانيّة التواصل وجهًا لوجه في التعليم الافتراضي، مع ذلك لا يستخدم الأساتذة هذه الميزة إلّا قليلًا، وحتّى في الحالات التي يتمّ فيها استخدام هذه الميزة؛ فإنّ التفاعل الافتراضي لا يُغني عن التفاعل الحضوري.

٢. الاعتماد المفرط على التكنولوجيا: التعليم الافتراضي يعتمد بشكل كبير على التكنولوجيا، يكمن هذا التقييد في طبيعة التعليم الافتراضي ويزداد حدته يومًا بعد يوم، إنّ مهارات الكمبيوتر، والإلمام بالإنترنت، ومهارات استرجاع المعلومات، والأدوات التفاعليّة المستندة إلى الويب مثل الدردشة عبر الإنترنت، والمؤتمرات الافتراضيّة، وما شابه ذلك، كلّها أدوات تعليميّة افتراضيّة، وقد لا يمتلك الكثير من الناس المهارات اللازمة في هذه المجالات حتّى يومنا، فهذه المسألة بالذات يمكن أن تكون قيدًا ومانعًا كبيرًا في المسار التعليمي لطلاب المدارس الدينيّة.

٣. نقص الكادر التنفيذي المتخصّص: يتطلب التعليم الافتراضي كادرًا فنّيًّا في تخصصات مختلفة، فيمكن للمنظمات والمؤسّسات استخدام طريقة التعليم هذه إذا كان لديها ما يكفي من القوى العاملة والموظفين التقنيين، بينما في الحوزة وجامعة المصطفىﷺ، لا يوجد عددٌ كافٍ من الموظفين التقنيين للتعليم الافتراضي، الأمر الذي يسبب في الملل وكسر الحوافز لدى الأساتذة والطلاب على نحوٍ سواء.

1. Kurbakova, S.
2. Renninger, K. A., & Shumar, W.

٤. انزواء المتعلمين وعدم الشعور بالمنافسة: نظرًا لأنّ الطلاب يستخدمون إمكانيّات وبرامج التعليم الافتراضي بشكل فرديٍّ عن بُعد، من البيت أو محلّ العمل، فإن التفاعلات الديناميكيّة والحيويّة في الفصل الدراسي لا تهيمن على عمليّة التعليم الخاصّة بهم؛ وبالتالي فإنّ مجال المنافسة السليمة في هذا النوع من التعليم ضيق جدًّا، مقارنةً بالتعليم التقليديّ.

٥. قلّة الرغبة وضعف الحافز لدى الطلاب: ومن عيوب التعليم الافتراضي وقيوده في حقبة كورونا هي قلّة الرغبة وضعف الحافز لدى الطلاب، تُظهر الأدلة أنّه على الرغم من جاذبيّة التعليم الافتراضي، إلّا أنّ العديد من الطلاب لا يأخذونه على محمل الجدّ وليس لديهم الدافع الكافي لحضور الدروس عبر الإنترنت، ويبدو أن السبب الرئيس لهذا هو كثرة دفعات الانفصال وإعادة الاتّصال للإنترنت أثناء الدروس وصعوبات الاتصال بشكل أو بآخر، وهذا وإنَّ تسامح الأساتذة وعدم إبداء الجدّية الكافية يزيد الطين بلةً فيما يتعلق بضعف الحافز وقلة الاهتمام لدى الطلاب.

٦. هدر الطاقات المعنوية الكامنة في التعليم: قبل تفشي كورونا، كانت العلاقات بين الأستاذ والتلميذ في الحوزات العلميّة حميمة للغاية، وكان الطلاب يرتادون بيوت الأساتذة ويعقدون لقاءات خاصّة معهم، مما كان يسمح للطلاب بتعلّم مجموعة متنوعة من الآداب والأخلاق من خلال التعلم القائم على المشاهدة عن كثب، وكانت هذه في الواقع أهمّ ميزة في الحوزات العلميّة، إذ كانت الدروس الحضوريّة لها دورًا مهمًّا للغاية في النمو الأخلاقي والمعنوي للطلاب، لكن في حقبة كورونا وبعد ظهور التعليم الافتراضي تحديدًا، تضاءل التفاعل بين الأستاذ والتلميذ، وتَقلَّل التعليم في الحوزات إلى اجتياز الوحدات المقررة والحصول على الدرجات والنجاح في الاختبارات فقط، وفي الواقع، فإن فقدان التواصل المناسب وجهًا لوجه، خاصّة بالنسبة لمن يكتفي بالتدريب الافتراضي وحده، هو عامل يقلل من تأثير الأستاذ في التلامذة؛ لذلك، يمكن القول

إنّ التعليم الافتراضي يخلو من نفَس الأستاذ الدافئ، وهذا في حدّ ذاته يمكن أن يسبّب ضررًا جسيما لطلاب الحوزة.

٧. إلغاء البرامج التعليميّة: لا يمكن للفضاء السيبراني أبدًا أن يقيم روابط إنسانيّة قويّة بين الأفراد؛ إذ ألغي بسببه العديد من البرامج التعليمية التي كانت تقام على شكل مراسم الدعاء والزيارة والحفلات والرحلات الجماعيّة والمحاضرات في الآونة الأخيرة، فإنّ الأهداف التربويّة في التعليم الإلكتروني ظلّت ضعيفة جدًّا. ومن هنا يرى بعض الباحثين أنّ أكبر نقطة ضعف في التعليم الافتراضي هو تضاؤل الأهداف التربويّة.

٨. تجربة الحرية المفرطة من قبل الطلاب: كانت تلاحظ في التعليم التقليديّ بعض المبادئ والقواعد التي تحكم سلوك الطلاب وكانت البرامج تحت المراقبة تمامًا، بينما أنّ الطلاب والمتعلمين في التعليم الافتراضي يتمتعون بالكثير من الحرّيّة، فقد أظهرت تجربة حقبة كورونا أنّه لا يمكن مراقبة أداء الطلاب أثناء الامتحان الافتراضي وحضور الدورات عبر الإنترنت، كما أنّه ليس من الواضح ما إذا كان الطالب هو الذي يستخدم الجهاز أم أنّ شخصًا آخر يحضر الدرس نيابةً عنه، وتجدر الإشارة إلى أنّ طبيعة الفضاء السيبراني زلقة، خاصّة إذا لم تكن هناك برامج تربويّة وأخلاقيّة مناسبة في النظام التعليمي للحوزة، فعندئذٍ تزداد نسبة المخاطر التي تهدّد الطلاب في هذا المجال.

وبعبارة أخرى، إنّ الحوزة قائمة على نظام معياري، بينما التعليم الافتراضي هو نظام مفتوح ومتسع؛ لذلك فإنّ إحدى نقاط ضعف التعليم الافتراضي في الحوزات العلميّة هو فقدان البنى التقليديّة في التعليم وتضاؤل العلاقات الإنسانيّة والآليات التربويّة في البيئة التعليميّة.

نتائج البحث

تحذّرنا أزمة كورونا والتعليم عبر الإنترنت من خطر سطحيّة البرامج التعليميّة، ناهيك عن المخاطر التي تحدق بنا وهي متعلقة بالبُعد التربوي والأخلاقي للدروس

التي يتم تقديمها في الحوزات، ومع أنّ معظم المراكز الحوزويّة تمكّنت من التكيّف بسرعة مع الوضع الراهن وتوفير التعليم المباشر، إلّا أنَّ القلق بشأن إمكانيّة نقل المعرفة بشكلٍ صحيح إلى الطلاب والمتعلمين هو يبقى كأحد الهواجس الرئيسة في هذا المجال؛ ويبدو أنّ أسلوب التعليم المباشر، لا سيّما في الدروس الحوزويّة، حيث يتطلب مذاكرة تتبادل بين الأستاذ والتلاميذ (الطلاب)، يواجه المزيد من المشاكل ولن يرتضي الأساتذة بالنتيجة أبدًا.

والحقيقة هي أنّه بعد تجربة أزمة كورونا، يمكن النظر في الجوانب الإيجابيّة والسلبيّة للتعليم الافتراضي على حدٍّ سواء، ويمكن استخلاص المنظور المستقبلي للتعليم الافتراضي في الحوزات العلمية وجامعة المصطفىﷺ على الجانب الإيجابي، فقد أتاح التعليم الافتراضي للمدراء في الحوزات وجامعة المصطفىﷺ العالميّة خلال فترة كورونا فرصةً ذهبيّة وفريدة ضمنت البنية التحتيّة اللازمة لتوفير التعليم الافتراضي، والاطلاع على أوجه القصور والضعف في البنية التحتية.

وقد مكّنت هذه التجربة معاونيّة التعليم في جامعة المصطفىﷺ من الاستعداد في المستقبل غير البعيد إذا اقتضى الأمر هذا النوع من أسلوب التدريس والتعليم، وفي الوقت نفسه أتاحت فرصة التعليم عبر الإنترنت إمكانية الابتكار للأساتذة في هذا المجال الذين يسعون دائمًا للإبداع والابتكار في الفصل الدراسي.

وقد وجدت فائدة أخرى للتعليم الافتراضي خلال فترة كورونا هي تنمية أسلوب التدريس للأساتذة الذين يستخدمون طريقة التدريس نفسها في فصول مختلفة لسنوات عديدة، كما يعد تقييم قدرة الأساتذة على اجتياز النهج المعتاد وجهًا لوجه نحو إقامة وإدارة فصول متعددة المشاركين عبر الإنترنت ثمرةً أخرى من ثمراته، ويرتبط جزء آخر من تجربة كورونا بالأساتذة الذين يعانون من رهاب التكنولوجيا ويخشون دائمًا العمل في مجال التعليم الإلكتروني.

وهناك فرصة أخرى أتيحت في سياق كورونا وهي ما يتعلق بظاهرة العمل عن بُعد[1] لأعضاء الهيئات التدريسيّة التي أوجدت أفقًا جديدًا في الأنشطة البحثية؛ ففي ظلّ هذه الظروف، يكون منزل الباحث ومكان عمله مكانين لإنتاج المعرفة، وإنَّ جودة العمل البحثي، بدلًا من ساعات العمل، هي أساس عمل هيئات التدريس؛ الأمر الذي قد يؤدي إلى تعزيز الثقة المتبادلة بين أعضاء هيئة التدريس وموظفي الإدارة، وقد أتاح تنفيذ دورات قصيرة لأسلوب العمل هذا في مركز المصطفىﷺ العالمي للبحوث والدراسات فرصةً لتنفيذٍ تجريبيٍّ لخطة العمل عن بُعد لجامعة المصطفىﷺ من أجل تحقيق نقاط القوّة والضعف في أسلوب العمل هذا.

حينئذ وبعد قرابة عامين من التعليم الافتراضي منذ تفشي كورونا، شئنا أم أبينا، فإنّ التعليم الافتراضي يتوسّع بسرعة، والموافقة عليه أو عدمها لا تغيّر جوهر المسألة، بل هذا الاتجاه سيستمر حتّى ما بعد كورونا، ولابدّ أن نضع في الحسبان أنّ التعليم الافتراضي قد سدَّ الفجوات، ولبَّى الحاجات، وسهَّل سبل التعليم، فلا تستطيع الحوزات العلميّة منع دخول التعليم الافتراضي، وإنّما يجب أن تتبنّى الحوزات العلميّة التعليم الافتراضي بإيجابياته وسلبياته، ولكن في الوقت نفسه تسعى أن تكون بمأمن من عيوبه ومشاكله.

وعلى الرغم من أنّ التركيز الحالي للحوزات العلميّة وجامعة المصطفىﷺ على القضايا العاجلة، لكن لا يجوز التوقف في هذه المرحلة؛ إذ إنّ جامعة المصطفىﷺ، بصفتها كفرع دولي للحوزة، بحاجة إلى نموذج نظري وطريقة تفكيرٍ تعتبر أزمة كوفيد-١٩ فرصةً لإعادة تفكير وإعادة تقييم لعمليّة التعليم الافتراضي ابتداءً من التسجيل وصولًا إلى إنتاج المحتوى والتدريس وتنفيذ المناهج التعليميّة، وانتهاءً بالتقييم العلمي وتخريج الطلاب.

1. Tele Working

ولقد أظهرت تجربة حقبة كورونا أنَّ التعليم والتعلم عبر الويب يختلف تمامًا عن الفصول الدراسيّة وجهًا لوجه؛ فإنّ مقتضى الاستخدام الأمثل والأحسن للتعليم الافتراضي في الحوزات العلميّة وجامعة المصطفىﷺ بالإضافة إلى تدريب الموظّفين المتخصّصين وتعزيز البنية التحتيّة للتعليم الافتراضي هو النظر في العناصر الرئيسة لمناهج الحوزات العلميّة وما يقابلها من توفير نموذج التعليم الافتراضي وتطويره، ويبدو أنّه في الوضع الراهن أي في حقبة ما بعد كورونا، فإنّ النموذج المطلوب للتعليم من قبل الحوزات وجامعة المصطفىﷺ العالميّة هو نموذج افتراضي قائم على التربية، والذي قدَّمه "شجاعي" لجامعة المصطفى المفتوحة،[1] يتكّون من خمسة عناصر: الغرض، والمحتوى، والمصادر، والأنشطة التعليميّة، وإستراتيجيات التدريس التي تشمل التقييم، والتصنيف، والزمان والمكان.

ووفقًا لخصائص الساحة الرقميّة، يمكن اعتبار النموذج التعليمي الموجّه نحو التربيّة ضربًا من التعليم الافتراضي الذي يركّز على تطوير وتقوية مختلف الأبعاد البيولوجيّة والنفسيّة والعاطفيّة والسياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة والاقتصاديّة والأخلاقيّة والدينيّة والروحيّة للأفراد ويضعها في سياق تقنيات الإنترنت. وإنّ محورية التعليم الافتراضي التربوي يعتمد على الرؤى المكتسبة من فلسفة تعليم جامعة المصطفىﷺ من جهة، والتوجُّه الحضاري لنشر ثقافة أهل البيتعليهم السلام في الفضاء الإلكتروني من جهة أخرى، ووفقًا لهذا النموذج، فإنّ المكوّنات والمحاور التي يجب تنفيذها في تخطيط التعليم الافتراضي للحوزات العلميّة وجامعة المصطفىﷺ ستكون مختلفة بشكلٍ طبيعيّ عن طبيعة التخطيط في الجامعات والمراكز الأخرى، وحتّى التخطيط التربويّ في أقسام التعليم الافتراضي في الحوزات يختلف عن المراكز التعليميّة الأخرى.

١. شجاعي، ١٣٩٦.

وأمّا في النظام التعليمي التربوي، ينبغي النظر في قدرات التعليم الافتراضي فيما يتعلق بأهداف الحوزات العلميّة ويجب تحديد نقاط قوّتها وضعفها بدقة، كما يلزم دراسة نقاط القوّة والضعف للعاملين والموظفين التنفيذيين في قطاع التعليم الافتراضي والتخطيط لرفع مستوى مهاراتهم التعليميّة والتقنيّة وتحسينها.

ويجب أن تعتمد الخطة التعليميّة الموجهة نحو التربية في التعليم الافتراضي لجامعة المصطفىﷺ على سياسات الحوزة العلميّة الكليّة؛ بُغيةَ تحقيق أهداف التربية الإسلاميّة التي تنعكس في صوغ الأهداف وشرح المهامّ والبرامج التعليميّة لهذه المؤسّسة الحوزويّة، وبما أنّ الغرض من التعليم هو تطوير قدرات الفرد ومعتقداته وقيمه؛ لذلك يجب إقرار التعليم الافتراضي وتطبيقه في جامعة المصطفىﷺ لتعزيز المعرفة والبصيرة والمعتقدات الدينيّة وفقًا لظروف الفضاء السيبراني ومتطلباته، فعلى أساس النموذج المذكور، يتطلب التعليم الافتراضي في الحوزات وجامعة المصطفىﷺ تخطيطًا وحركة هادفة ومنظَّمة من خلال اتّخاذ خطوات حازمة لتحسين التعليم الحالي والمستقبلي، باستخدام تجربة حقبة كورونا.

مصادر البحث

أ) المصادر الفارسية

١. أمين بور، "يادگيرى الكترونيكى در دانشگاهها و مؤسسات آموزش عالى"، مجلة كتاب الفصلية، العدد ١٨، ص٢١٧-٢٢٨.

٢. حافظ نيا، محمد رضا (١٣٨٩). مقدمه اي بر روش تحقيق در علوم انساني، طهران: منشورات سمت.

٣. سليماني، أعظم؛ أصغري، فاطمة (١٤٠٠). مزايا و چالشهاى اموزش مجازى، مجلة "آموزش علوم تجربى" البحثية، صص٥١ - ٦١.

٤. شجاعي، محمد صادق (١٣٩٧). شاخص هاى تربيتى دانشگاه مجازى المصطفى، قم: مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي للترجمة والنشر.

٥. عابديني، نصير (١٣٩٧). روان شناسى تحصيل در غربت، قم: دار المصطفى (ص) للنشر.

٦. فارسي، زهرا؛ علياري، شهلا؛ أحمدي، يزدان؛ آفاقي، عفت؛ سجادي، سيدة أعظم (١٤٠٠). بررسى رضايتمندى از كيفيت دوره تحصيلى و آموزش مجازى طى پاندومى كووید-١٩ در دانشجويان پرستارى دانشگاه علوم پزشكى آجا در نيمسال دوم ٩٩-١٣٨٨، مجلة الطب العسكري، العدد ٢، صص ١٧٤-١٨٥.

٧. مرادي، علي رضا (١٣٩٩). دانشگاه ها و شبكه هاى منطقه اى سياستگذارى آموزشهاى مجازى، طهران: معهد أبحاث الدراسات الثقافية والاجتماعية.

٨. الموقع الإلكتروني لمعاونية وزارة التربية والتعليم والبحوث والتكنولوجيا (١٠ إسفند ١٣٩٨). توجه به آموزشهاى غير حضورى در دانشگاه ها در پى شيوع بيمارى كرونا، رسالة معاون التعليم في الجامعة إلى رؤساء الجامعات ومؤسسات التعليم العالي: https://edu.msrt.ir/fa

ب) المصادر الإنجليزية

9. Bocchi, J., J. K. Eastman, and C. O. Swift. 2004. "Retaining the online learner: Profile of students in an online MBA program and implications for teaching them",. Journal of Education for Business, 79 (4): p245–53.

10. Kurbakova, S., Volkova, Z., & Kurbakov, A. (2020, July). Virtual Learning and Educational Environment: New Opportunities and Challenges under the COVID-19 Pandemic. In 2020 The 4th International Conference on Education and Multimedia Technology (pp. 167-171).

11. Renninger, K. A., & Shumar, W. (Eds.). (2002). Building virtual communities: Learning and change in cyberspace. Cambridge University Press.